OPEN ACCESS
تاريخ القبول: 08/ 11/ 2022
تاريخ الاستلام: 26/ 01/ 2023

مجلة الآداب

هدم المباني وسقوطها في مصر - عصر سلاطين المماليك 648-923هـ/1250-1517م

د. سامي بن سعد المخيزيم*
sami-saad66@hotmail.com

الملخص:

يتناول هذا البحث ظاهرة هدم المباني وسقوطها في مصر في عصر سلاطين المماليك (648-923هـ/1250-1517م)، باعتبارها ظاهرة لافتة للنظر، وجديرة بالدراسة والبحث، وقد دفعت المصادر التاريخية المعاصرة إلى رصدها والإفاضة في الحديث عنها من حيث أسباب هذا الهدم وأنواعه وآثاره. والهدم أو انهيار المباني في الدولة المملوكية كان يقع نتيجة لأسباب عدة، منها الطبيعية مثل: الزلازل أو الأمطار أو الفيضانات أو السيول، ومنها البشرية مثل: التوسع في الإعمار، أو إعادة البناء، أو نتيجة لأمر مباشر لمعاقبة شخص أو جماعة ما، أو لتعديها على أملاك الدولة، أو نتيجة للإهمال وضعف البناء، أو نتيجة للفتن والثورات، أو بسبب الحروب والمداهمات والصراعات السياسية، أو بحثًا عن الكنوز والثروات، إلى غير ذلك من الأسباب. وقد أدى هدم هذه المباني وسقوطها إلى مجموعة من الآثار، يتعلق بعضها بالجانب البشري الإنساني، والبعض الآخر يتعلق بالجانب المادي. وقد حاول البحث تتبع هذه الآثار، مسلطًا الضوء بشكل أكبر على الأسباب التي أدت إلى هدم المباني وسقوطها، والتدليل على ذلك بمجموعة من الأمثلة والشواهد التاريخية التي أوردتها المصادر المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: الدولة المملوكية، هدم المباني، أملاك الدولة، الفتن والثورات.

* أستاذ التاريخ الوسيط المشارك - قسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية- جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: المخيزيم ، سامي بن سعد ، هدم المباني وسقوطها في مصر - عصر سلاطين المماليك 648-923هـ/1250-1517م ، مجلة الآداب، كلية الآداب، جامعة ذمار، اليمن، مج11، ع1، 2023: 599-630.

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

(EISSN):2708-5783 ISSN:2707-5508
https://doi.org/10.35696/.v11i1.1405

OPEN ACCESS
Received: 08/11/2022
Accepted: 26/01/2023

مجلة الآداب

Buildings Demolition and Collapse in Egypt during the era of Mamluk Sultans (648-923 A.H/1250-1917 A.D)

Dr. Sami Seed Al-Mukhaizeem*

sami-saad66@hotmail.com

Abstract:

This study tackles the phenomenon of building demolition, destruction and collapse in the era of the Mamluk Sultans (648 - 923 H / 1250 -1517) as a topic of interest among modern and contemporary scholars with particular reference to motives, types and impact of such demolition acts. During the Mamluk State, buildings demolition was triggered natural, human political and economic motives. The natural causes were earthquakes, heavy rain, flooding, while the human-driven motives included construction expansion, reconstruction, punishing a person or a group, encroaching state property or negligence and poor construction. Politically-based causes involved wars, raids and storms, and conflicts. Financial drives for demolishing buildings was to look for treasures and wealth among other reasons. Building destruction and demolition had an impact at both the human and material levels. The study shed light on such influences and focused mostly on the triggers and motives behind such demolition and destruction acts, providing ample historical instances from contemporary reference books.

Keywords: Mamluk Dynasty, Building demolition, State property, Wars and tribulations..

* Associate Professor of Islamic and Medieval History, Department of History, Faculty of Social Sciences and Humanities, King Saud University, Saudi Arabia.

Cite this article as: Al-Mukhaizeem, Sami Seed, Buildings Demolition and Collapse in Egypt during the era of Mamluk Sultans (648-923 A.H/1250-1917 A.D), Journal of Arts, Faculty of Arts, Thamar University, Yemen, V 11, i1, 2023: 599 -630.

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

مقدمة:

تعدّ ظاهرة هدم المباني وسقوطها من الظواهر اللافتة للانتباه والملاحظة في مصر في عصر سلاطين المماليك، حيث لفتت أنظار المصادر التاريخية المعاصرة التي أفاضت في الحديث عنها من حيث أسباب هذا الهدم وأنواعه. وقد يحدث الهدم أو الانهيار للمباني نتيجة لأسباب طبيعية مثل الزلازل أو الأمطار أو الفيضانات أو السيول. وقد يكون الهدم لغرض التوسعة أو إعادة الإعمار أو نتيجة أمر مباشر من السلطة لعقوبة شخص ما، أو لإصلاح أمر معين، أو تلك التي هدمت نتيجة للفتن والثورات، أو بسبب الحروب والمداهمات والصراعات السياسية.

لم تعرض الدراسات الحديثة المتخصصة في العصر المملوكي -بحسب ما اطلعت عليه- لموضوع الهدم بصورة مباشرة، وإنما تحدثت عن الظواهر الطبيعة التي نتج عنها هدم أو سقوط للمباني في مصر في العصر المملوكي، نذكر منها على سبيل المثال: دراسة سيد عبدالعال، بعنوان: "زلزال عام 702هـ/1303م وأثره في مصر المملوكية". ومن ثم فإن بحث أسباب هذه الظاهرة سوف يكشف عن الكثير من المعلومات المتعلقة بالجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر المملوكية.

وتكمن مشكلة البحث في الكشف عن أسباب ظاهرة هدم المباني وسقوطها في مصر في عصر سلاطين المماليك، بوصفها ظاهرة لافتة للانتباه والملاحظة، ففضلًا عن وجود أسباب طبيعية لهذه الظاهرة، مثل الزلازل والفيضانات، إلا أنه سوف نلاحظ وجود أسباب أخرى تتعلق بالفساد الإداري، والصراع السياسي، والاجتماعي، والديني في ذلك العصر.

ويهدف هذا البحث إلى التعرف على أسباب ظاهرة هدم المباني وسقوطها في مصر في عصر سلاطين المماليك، وما ترتب علي ذلك من آثار، وتأثير الصراعات السياسية والدينية والاجتماعية، فضلًا عن دور الفساد الإداري في وجود هذه الظاهرة.

ويتّبع هذا البحث المنهج الوصفي التاريخي التحليلي القائم على جمع المادة العلمية من مظانها الأولية ومقارنتها وتحليلها؛ للوصول إلى حل لإشكالية البحث، والإجابة عن التساؤل الرئيس المثار وهو: ما هي الأسباب الطبيعية والبشرية التي أدت إلى هدم المباني وسقوطها في مصر في عصر سلاطين المماليك؟

وسيجري تناول الموضوع في ضوء بعض المحاور، إذ يقدم المحور الأول مدخلًا عن العمارة الإسلامية قبيل فترة الدراسة وخلالها، ثم يتناول المحور الثاني أسباب سقوط المباني وما ترتب على ذلك من آثار، ثم خاتمة تتضمن أبرز ما توصل إليه هذا البحث من نتائج.

مدخل:

كان يفترض أن يخصص التمهيد أو المدخل لإعطاء صورة عامة عن ظاهرة الهدم قبل زمن الدراسة، لمعرفة الثابت والمتغير الذي طرأ في العصر المملوكي، هل كان امتدادًا لما سبق أم استثناء وظاهرة تستحق الرصد والتتبع. فظاهرة الهدم موجودة في جميع العصور، والتغير الذي حدث في العصر المملوكي أنها أصبحت ظاهرة لافتة للمصادر المعاصرة لهذا العصر، وأخذت تتحدث عنها بصورة أكبر، فضلا عن تنوعها وتعدد أسبابها. ولهذا فضَّلْتُ أن أجعل المدخل محددًا في الحديث عن الجانب العمراني وتطوره قبيل وأثناء العصر المملوكي باعتباره أهم الجوانب المتعلقة بظاهرة الهدم.

بلغت العمارة الإسلامية مستوًى متطورًا قبيل فترة الدراسة وخلالها، فقد اهتم سلاطين الأيوبيين ببناء العمائر لا سيما العمائر الحربية، وذلك نتيجة للصراع الذي كان دائرًا مع الصليبيين، مثل القلاع والحصون والأبراج والأسوار، هذا إلى جانب العمارة الدينية والمدنية، مثل المدارس، ودور الحديث، والخانقاوات والزوايا[1].

ونالت عمارة المدارس بالتحديد اهتمامًا كبيرًا في العهد الأيوبي، حيث طرأ تحول في نمط بنائها، فظهرت الأواوين في تخطيط المدارس بدلًا من الأروقة، وأصبحت ذات عمارة خاصة ووظيفة تعليمية، وقد نُقل هذا النمط من السلاجقة الذين تبنوا إنشاء المدارس لتعليم المذهب السني ومحاربة المذهب الشيعي[2].

كما اهتم الأيوبيون بإنشاء دور الحديث، وهي مؤسسات اختصت فقط بتدريس علوم الحديث، إذ أنشئت "دار الحديث الكاملية" في القاهرة في سنة 622هـ/1225م، فضلًا عن العديد من مدارس الحديث التي أنشئت في دمشق وضواحيها، وذكر النعيمي منها ست عشرة دارًا للحديث[3].

واكتسبت العمارة الأيوبية سمات عدة أبرزها القوة والصلابة واستخدام الأحجار الضخمة خاصة في الواجهات والمداخل، كما تم استخدام الآجُر[4] في بناء القباب، واستخدمت الأعمدة الضخمة لتدعيم الأسوار والأبراج، فضلًا عن أن الجانب الزخرفي والجمالي غلب عليه طابع التقشف وعدم الإسراف[5].

وقد زخرت القاهرة بالكثير من المنشآت العمرانية، حيث انتشرت بها الدور الضخمة والمنازل الرحبة والأسواق الممتدة والخوانق، وغلب على هذه المباني استخدام الآجر، أما الجوامع والمدارس وبيوت الرؤساء فكانت مبنية بالحجر المنحوت، وأرضها مفروشة بالرخام، وسقوفها من أخشاب النخل والقصب المحكم الصنعة، وكلها أو أكثرها قد جرى تبييض جدرانها بالكِلْس الأبيض[6]. وقد وصف الرحالة الذين زاروا مصر والشام زمن الدولة الأيوبية حجم النشاط العمراني، حيث اكتظت بالمدارس والمساجد والخانقاوات والبمارستانات والأضرحة والزوايا والقيسارات والخانات والفنادق[7].

وقد وصف البغدادي عمارة القاهرة التي زارها في نهاية القرن السادس الهجري، بأنها تقوم على هندسة بارعة وترتيب حسن، وقلما تجد مكانًا خاليًا غير مستغل، وأن أغلب المنازل مرتفعة شاهقة، والأسواق والشوارع واسعة، ويبنون بالحجر المنحوت والآجر[8].

استمر التطور العمراني خلال العصر المملوكي بصورة أكثر وضوحًا وقوة، بل يعد هذا العهد الحقبة الذهبية للفن المعماري، إذ شُيد عدد كبير من الأبنية من جوامع ومدارس وأضرحة وأسواق وفنادق وحمامات ووكالات وأسبلة وقلاع وحصون وغيرها.

ويشير المقريزي (ت 845هـ/1441م) إلى هذا التحول العمراني منذ بداية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي حيث ربط بين هجوم التتار على المشرق الإسلامي والعراق ونزوح الكثير من المشارقة إلى مصر، حيث زادت الرقعة العمرانية، وتم تعمير حافتي الخليج الكبير بالقاهرة[9] وعلى شاطئ بركة الفيل[10] جنوبي باب زويلة[11]، وتوسع العمران في الحارة الحسينية[12] خارج باب الفتوح[13] شمالًا، وتوسعت المساكن، وقد شاركهم الإقامة بها أمراء المماليك، "فصارت من أعظم عمائر مصر والقاهرة واتخذ الأمراء بها مناخات الجِمال وإسطبلات الخيل، ومن روائعها الأسواق والمساكن العظيمة في الكثرة، وصار أهلها يوصفون بالحسن"[14].

أسباب هدم المباني وسقوطها وما ترتب على ذلك من آثار:

- سقوط المباني نتيجة للعوامل الطبيعية وضعف البناء

كان حدوث الزلازل أحد الأسباب المهمة لوقوع الهدم، ومن ذلك ما حدث في الزلزال الهائل الذي ضرب الإسكندرية وباقي مناطق مصر وبلاد الشام في سنة 702هـ/1303م، وتسبب في هدم الكثير من الدور التي لا تحصى عددًا، وقد أرّخ شافع بن علي لهذا الزلزال في مقامة سماها "ما ظهر من الدلائل في الحوادث والزلازل" يقول فيها: "وقع في يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجة

سنة اثنتين وسبعمائة، عند طلوع الشمس، زلزلة قصمت العرى، ونبذت سكان المدن بالعراء، وأوهت قوى الجدران وأنهكتها... ولم تدع حصنًا حتى زلزلته، ولا شاهقًا حتى أنزلته"[15].

ويُستأنس أيضًا بالمعلومات التي وردت عن الزلزال الذي وقع في بلاد الشام ونواحيها في سنة 744هـ/1343م، الذي أدى إلى هدم مبان عظيمة في الكثير من النواحي، ومات عدد كبير من الناس تحت الردم، مما دفع أهل حلب إلى الخروج للصحراء والمبيت بالخيام عدة أيام[16]، والأمر نفسه بالنسبة لزلزال سنة 854هـ/1450م الذي تسبب في سقوط الكثير من المباني في مدينة أياس إلى جانب سقوط جزء من قلعتها[17].

ليس من المستغرب أن تكون الزلازل أهم الأسباب الطبيعية التي أدت إلى هدم المباني وسقوطها في عهد دولة سلاطين المماليك، لا سيما أنها ضُربت بعدد من الزلازل القوية، وقد أثّر الهدم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للسكان، فإلى جانب ما كان يترتب على هذا الهدم من سقوط عدد كبير من الضحايا والمصابين، مما أدى إلى نوع من التخلخل السكاني في بعض المدن، فقد حدثت أيضًا خسائر مادية واقتصادية كبيرة جرَّاء سقوط مباني الأسواق والمخازن والمتاجر والورش وغيرها.

والأمر نفسه بالنسبة للفيضانات، ومثال ذلك ما وقع من هدم لكثير من الدور والرَّباع[18] في بولاق وعلى شاطئ النيل بالقاهرة بسبب فيضان النيل الذي وقع في سنة 749هـ/1348م، مما تسبب في حدوث كثير من الآثار المادية، حيث وقعت خسائر كبيرة نتيجة النهب الذي انتشر فيما كانت تحويه هذه الدور والرباع من أموال[19].

وكذلك فيضان سنة 755هـ/1354م، حيث فاض النيل لحدوث زيادة نادرة بلغت عشرين أصبعًا وعشرين ذراعًا، فغمر عددًا من أحياء القاهرة حيث كانت: "المطرية، والأميرية، والمنية، وشبرا، الجميع ملقة واحدة قد عمّها الماء، متّصلة كلّها مع الضواحي بالنيل الأعظم"، وقد تسبب هذا الفيضان في سقوط الكثير من المنازل والمساكن[20].

وفي السياق ذاته نجد أن الأمطار الشديدة كانت تؤدي إلى الهدم أيضًا، فقد أشارت المصادر إلى وقوع أمطار شديدة في غزة في سنة 753هـ/1352م، مما أدى إلى هدم عدة بيوت، وهلك جماعة من أهلها تحت الرَّدم، كما سقطت نصف دار النيابة، مما دفع النائب إلى السكن في جامع الجاولي[21]. كما جاء سيل عظيم إلى مدينة طرابلس فهدم أبنية كثيرة سنة 810هـ/1407م[22]. ووقع في مدينة دمياط في سنة 837هـ/1434م رياح عاصفة شديدة اقتلعت الكثير من النخيل وأسقطت عدة مبان وأماكن، مما دفع السكان إلى الخروج إلى ظاهر البلد من كثرة ما أصابهم جرَّاء هذه الرياح[23].

وقد مثَّل ضعف البناء وقِدمه سببًا مهمًا لسقوطه، فقد سقطت بعض مباني القاهرة لاهترائها وقِدمها، مما كان سببًا في حدوث خسائر بشرية كبيرة؛ لأن سقوط هذه المباني كان يحدث فجأة. ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك ما حدث في شهر شعبان من سنة 832هـ/1429م عندما سقط موضع في أحد المباني بالقاهرة على كتَّاب أطفال، فمات منهم اثنا عشر طفلًا، وأصيب تسعة آخرون بإصابات بالغة[24]، فكانت فاجعة كبيرة، إلا أن المصادر لم تشر إلى تحرك رسمي من السلطة لفتح تحقيق في ذلك. ولعل الأمر قد بدا أمام السلطة قضاءً وقدرًا وليس ناتجًا عن إهمال أو تقصير من أحد.

وفي السياق ذاته سقطت منارة المدرسة الفخرية القديمة[25] بسويقة الصاحب في سنة 849هـ/1445م على الربع المجاور لها، وكان موقوفًا عليها. وكان قد تم تحذير السكان من قبل، فلم يأخذوا حذرهم، فَرُدِم حين سقوطها واجهة الربع، ومات تحتها جماعة، وأصبح يومًا مهولًا اجتمع فيه الحاجب الكبير، ووالي الشرطة، وأخرجوا من تحت الأنقاض الكثير من الموتى، أما الأحياء فكانوا قليلين، وجلهم مصابون بكسور في اليد أو الرجل أو الظهر[26].

ويبدو أن إهمال بعض المكلفين بالترميم هو الذي تسبب في سقوطها، لذا عندما سمع السلطان الظاهر جقمق (842-857هـ/1438-1453م)، بالخبر استشاط غضبًا وأحضر ناظر المدرسة، وكان إذ ذاك النور علي القليوبي[27] أمين الحكم وأحد نواب القضاة، فأمر السلطان بتوسيطه[28] حتى وقعت فيه الشفاعة فعفى عنه السلطان، وقرر عزله من منصبه. كما أمر بعزل الحافظ ابن حجر العسقلاني[29] عن القضاء، وكان حينها يتولى منصب قاضي قضاة الشافعية، وإلزامه بديَات من مات تحت الرَّدم، على اعتبار أنه مسؤول عن المدرسة الفخرية بتعيين أحد نوابه ناظرًا عليها[30].

وقد عقَّب الحافظ ابن حجر على هذه الحادثة، التي كان له صلة مباشرة بها، بالقول إن السلطان قد ظن أن هذه المدرسة تخضع تحت نيابته بوصفه قاضي قضاة الشافعية في مصر، فأخذ يلومه وينكر عليه إهماله وتفريطه في العناية بالمدرسة المذكورة، ثم أمره بالاستقالة من منصب قاضي قضاة الشافعية، ودفع دية الموتى، وقام بتعيين الشيخ شمس الدين محمد بن علي القاياتي بدلًا منه[31].

- هدم المباني لإعادة الإعمار أو لاستبدالها بمبانٍ أخرى للسلطان أو الأمراء

كان يقوم السلطان وكبار الأمراء بشراء أملاك ومبانٍ؛ لهدمها وبناء مبانٍ جديدة تابعة لهم محلها. ومن أمثلة ذلك ما قام به الأمير شيخو الناصري[32] من هدم بعض المباني بخط الصليبة،

وكانت تشغل مساحة فدان تقريبًا، وذلك تمهيدًا لإزالتها ليحل محلها الخانقاه المشهورة باسمه[33]، وما حولها من الحوانيت، وما يعلوها من الرباع والأماكن.

وقد جدّ الأمير شيخو في العمل لينتهي من هدم المباني القديمة التي أخذت حوالي شهرين بداية من شهر المحرم سنة 756هـ/1355م حتى شهر ربيع الأول الذي بدأ فيه ببناء الخانقاه، وكان يعمل فيها بنفسه ومماليكه، وانتهى منها في شهر شوال من هذه السنة، وكانت من أعظم الأبنية وأجلّها، "ولها الصيت والذكر الذي يغني عن مزيد التعريف... فرحم الله تعالى بانيها"[34].

كما قام السلطان الناصر حسن (755-762هـ/1354-1361م) في سنة 758هـ/1357م بشراء دار ألطنبغا المارداني[35]، ويلبغا اليحياوي[36] بحي الرميلة تجاه القلعة، كما أضاف إليها بعض المباني الأخرى، وذلك تمهيدًا لهدمها وإزالتها ليحل محلها مدرسته المشهورة[37]، والتي هي في غاية العظمة، و"ما عُمّر في الإسلام نظير لها على ما نعلمه"[38].

كما قام الظاهر برقوق (784-790هـ/1382-1388م) في سنة 786هـ/1384م، وتحديدًا في شهر رجب باستبدال خان الزكاة[39] من ورثة الناصر محمد بن قلاوون بقطعة أرض، وكلف الأمير جركس الخليلي[40] أمير آخور[41] بعمارة مدرسة له في موضعه، فابتدأ بهدمه في يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر رجب من السنة المذكورة، الموافق10 سبتمبر 1384م، وفي أثناء أعمال الهدم مات جماعة من الفعلة في يوم الاثنين الثاني من شهر شعبان، وفي الخامس من الشهر ركب السلطان إلى رؤية عمارته وعاد إلى القلعة. وتم افتتاح المدرسة الظاهرية[42] التي تأسست في موضع خان الزكاة بخط بين القصرين من القاهرة، في يوم الخميس الثامن من شهر ذي القعدة 786هـ/1384م[43].

وقد تحدثت المصادر عن محاولة استغلال السلاطين للهدم وسيلة لنقل ملكية بعض المباني إليهم رغم عدم أحقيتهم بذلك. نذكر من ذلك، على سبيل المثال، خبر المدرسة الجمالية التي أنشأها الأمير جمال الدين يوسف الأستادار برحبة باب العيد. فبعد مقتل الأمير جمال الدين في سنة 812هـ/1409م، قبض السلطان الناصر فرج (801-815هـ/1405-1412م) على أمواله، وحسّن بعض خصومه للسلطان أن يهدم هذه المدرسة ويأخذ رخامها فإنه في غاية الحسن، ويسترجع الأملاك والأراضي الموقوفة عليها فإنها كانت تغل جملة كبيرة من الأموال.

وبالفعل أمر السلطان باتخاذ هذه الإجراءات ولم يبق سوى هدمها، ولكن كاتب السر اقترح على السلطان أن ينقل ملكية المدرسة إليه دون أن يهدمها، وأن يغير اسمها إلى المدرسة الناصرية،

فاستحسن السلطان هذا الاقتراح وطلب من القضاة أن يُقرّوا بذلك، خاصة أن مكان هذه المدرسة قبل أن ينشئها جمال الدين كانت وقفًا على تربة فاستبدله جمال الدين بقطعة أرض من أراضي الخراج دون أخذ إذن السلطان، وإنما أخذها افتئاتًا، فاستغل السلطان ذلك وأصبحت أرض هذه المدرسة وقفًا على ما كانت عليه قبل بنائها.

فحكم قاضي القضاة المالكي أن البناء الموقوف على هذه الأرض ملك لم يصح وقفه، فاشترى السلطان عند ذلك بناء المدرسة بعدما قُوّم بمبلغ عشرة آلاف دينار من ورثة جمال الدين، ثم أشهد عليه أنه وقفه بعدما عوّض مستحقي أرضها بدلها. وحكم القضاة الحنفية بصحة الاستبدال[44].

ويعلِّق ابن شاهين[45] على موقف القضاة من هذه المدرسة بقوله: "وصارت تسمّى الناصرية بعد أن كانت تسمّى الجمّالية، وعدّ ذلك من النوادر، ثم عادت بعد موت الناصر إلى وقف جمال الدين وصارت تسمّى الجمالية. ولعلّه لم يُسمع بأغرب من هذا، وليس هذا بعجب في قضاة السوء، لا نجوا من السوء"[46].

كما رأى السلطان المؤيد شيخ المحمودي (815-824هـ/1412-1421م) في سنة 818هـ/1415م أن يُنشئ جامعًا داخل باب زويلة، فرسم في شهر ربيع الأول بأن يفرغ قيسارية[47] سنقر الأشقر[48]، والدور التي حولها من سكانها تمهيدًا لهدمها، وكان أثر ذلك أن أضر بحال الكثيرين من السكان[49]، ثم كلّف عددا من أرباب الدولة بالبدء في الهدم في الخامس من الشهر المذكور، فهدمت القيسارية وما يجاورها من الدور، وهُدمت خزانة شمائل[50]، وتم توفير عدة من الجمال والحمير بلغت علائقهم في كل يوم خمسمائة عليقة.

وكان السبب في اختيار هذا المكان دون غيره أن السلطان المؤيد شيخ كان قد نذر أثناء اعتقاله في خزانة شمائل عندما كان أميرًا، إن تيسّر له ملك مصر فسوف يحل محلها مسجدًا لله عز وجل ومدرسة لأهل العلم، فتم له ذلك.

وقد استغرق الهدم حوالي شهرين، حيث بدأ حفر الأساس بعد انتهاء الهدم في الرابع من جمادى الآخرة. وقد ذكر المقريزي أن السلطة قد منحت جميع العاملين أجورهم دون أن يُكلف أحد العمل فيه فوق طاقته ولا سُخِّر أحد فيه بالقهر[51].

كما قام الأشرف برسباي (825-841هـ/1422-1438م) في سنة 831هـ/1428م بهدم خان الحجر، وكان وقفًا للشهابي الششماني، إلا أن السلطان قام بأخذه، وألزم سكانه بالانتقال منه،

وكانوا عددًا كبيرًا، ولهم سنوات طويلة يسكنون فيه، فضلًا عن عدم وجود مساكن بديلة يمكنهم أن ينتقلوا إليها، فوقع لهم الكثير من الضرر[52].

وقد قرر السلطان الأشرف برسباي في سنة 832هـ/1429م هدم بعض الأماكن بالقاهرة لضعفها وقدمها خشية وقوعها؛ مما قد يتسبب في خسائر كبيرة، ولذا فقد أمر في شهر رمضان بهدم سوق الكتبيين وحوانيت الصيارف والنقليين والأمشاطيين فيما بين الصاغة والمدرسة الصالحية وما إلى جانبها لتجدد عمارتها، وكانت هذه الأماكن موقوفة على البيمارستان المنصوري[53]. كما أمر الأشرف برسباي في شهر جُمادى الثانية سنة 835هـ/1432م بهدم قصر بنت بيسري الموجود بين القصرين، وأمر بأخذ رخامه ليستخدمه في مدرسته الأشرفية، وكان رخامًا فائق الندرة والجودة[54].

وفي الإطار نفسه يُستأنس بما قام به الأمير سودون المحمدي في سنة 838هـ/1435م من هدم سقف الكعبة بهدف تجديده، وقد كَرِه بعض الفقهاء وأهل الصلاح بمكة هذا العمل، بل خرج بعضهم من مكة خوفًا من حدوث حادث[55]. وقد أشار ابن حجر إلى هذا التجديد ممتدحًا الأمير سودون المحمدي بقوله: "في شهر المحرم شرع الأمير سودون المحمدي في عمل سقف الكعبة بأمر الملك الأشرف [برسباي]. فبدأ فيه في نصف الشهر وعمله سقفًا جديدًا، فشرع فيه أوائل شهر ربيع الأول منها، وهدم منارة باب السويقة وعمرها جديدة"[56]، أي أن مدة هدم وتجديد سقف الكعبة قد استغرق حوالي شهرين.

وقد انتقد ابن تغري بردي مبادرة سودون المحمدي بهدم سقف الكعبة دون سبب لذلك، حيث ذكر: "عظم ذلك على أرباب الصلاح وأهل العلم، بل ربما خرج بعضهم من مكة خشية من سخط ينزل بها، لكون البيت صار بلا سقف عدة أيام...أراد بذلك التقرب إلى الله تعالى بهذه الفعلة، فوقع في أمر كبير وهو لا يدري كعادة صلحاء الجهال، فكان حاله في هذا كقول القائل:

رام نفعًا فضرّ من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقًا

ومن يوم هدم سودون سقف الكعبة، صار الطير يجلس على البيت الشريف، وكان لا يجلس فوقه أبدًا قبل ذلك، وقد أتعب ذلك خدمة الكعبة، فلو لم يكن من فعله إلا هذه الفعلة لكفاه إثما... فلم يشاور في ذلك أهل مكة ولا تكلّم مع من له خبرة بأحوال مكة"[57].

لم يكن ابن تغري بردي الوحيد الذي وجه أسهم النقد إلى سودون المحمدي على هدمه سقف الكعبة، بل ذكر أيضًا عبدالباسط بن شاهين هذا التصرف بالنقد، حيث قال: "فما جاء على قصد... وصار الحمام يجلس على سطح الكعبة ويزبّل عليها بعد أن كان لا يطير على علوها في هوائها، فضلًا

عن الجلوس على السطح، ولكن الكثير من أهل الخير والصلاح بمكة كرهوا هذا البناء وما أحبوه ولله الأمر"[58].

- هدم المباني لتعدّيها على أملاك الدولة، أو لاتفاق ذلك مع الصالح العام

وظّفت السلطة المملوكية الهدم باعتباره وسيلة ناجعة لتحقيق السياسة العامة للدولة في حفظ الممتلكات العامة والخاصة، وقد أكدت الشواهد التاريخية ذلك في أكثر من مناسبة، نذكر منها على سبيل المثال ما رواه ابن حجر العسقلاني- الذي كان شاهد عيان- في شهر ذي القعدة سنة 835هـ/1432م أنه عقد مجلس بحضرة القضاة الأربعة وقرقماس الحاجب الكبير بإذن السلطان الأشرف برسباي بسبب ما حكم به نائب القاضي الحنفي من هدم دار الشيخ أبي هريرة بن النقاش، لأنها بُنيت في حرم جامع ابن طولون، وعندما استعظم الناس هدم الدار كونها قد مضى عليها أكثر من أربعين سنة، أمر السلطان بعقد مجلس القضاء، فلما اجتمعوا ادعى مدع على أبناء ابن النقاش بأن البيت الذي بأيديهم يجب هدمه لأنه عُمّر في حرم الجامع فله حكم المستجد، وأنه يجب عليهم أجرة المثل عن المدة الماضية في تركة أبيهم إلى أن مات، ثم إن المدة الممتدة منذ مات إلى ذلك الوقت، يجب أخذها من ريع الوقف، فأجاب بأن أباه استأذن القاضي جلال الدين البُلْقِيني في استئجار الأرض المذكورة، فأذن لنائبه القاضي ولي الدين العراقي في النظر في ذلك، فاستوفى الشروط وأذن لبعض العدول في إجارته فأجَّره بأجرة معينة لمدة معينة ليبني في ذلك الزمان ما أراد، واتصل ذلك بالعراقي الذي ذكر أن الأرض المذكورة ليست مسجدًا، فاتصل ثبوت ذلك بالقاضي المالكي في المجلس لكونها شهادة على الخط، ثم اتصل بالشافعي فحكم بإبقاء البناء المذكور وعدم التعرض لهدمه[59].

واستكمالًا للحادثة السابقة، فقد روى ابن حجر، أنه قد عقد في شهر شعبان سنة 842هـ/ فبراير1439م مجلسًا بأمر السلطان الظاهر جقمق (842-857هـ/1438-1453م)، بشأن الحديث مرة أخرى في مسألة بيت ابن النقاش المجاور لجامع ابن طولون، حيث حضر ابنا الشيخ ابن النقاش وادعى عليهما ولي الدين السفطي وكيل السلطان بهدم البيت، فأجاباه بأن والدهما استأجر المكان المذكور، وحكم بالإجازة القاضي ولي الدين العراقي، وأظهرا مثبوتًا بذلك. كان من بين الحضور أحد الشهود واسمه ناصر الدين الشنشي نائب الحكم، وقيل إنه كان قد حكم بهدم الدار في سنة 835هـ/1432م، وعندما سأله ابن حجر، فقال الذي ثبت عندي أن الأرض المذكورة في رحاب الجامع وأنه لا يجوز البناء فيها، وسأله في المجلس: هل تقدم لك الحكم بهدم بناء ابن النقاش؟ فقال: لا،

فأعرض السلطان عنه وانفصل المجلس على أن ينظر القاضي المالكي الشمس البساطي في عقد الإيجار ويعمل فيها ما يقتضيه مذهبه.

فادعى عليهما السفطي صبيحة ذلك اليوم أن الإجارة التي بيدهما انقضت، وأن الناظر يختار الهدم، فحكم المالكي بهدم الدار المذكورة وتسليم الأرض فراغا.

وكان ابن النقاش وقف الدار المذكورة على صهريج بناه بجوارها، فحكم المالكي ببطلان الوقف بانقضاء الإجارة، ومكنهما من نقل الأنقاض وتملكها وتسوية الأرض، ثم توجه المالكي بأمر السلطان في صبيحة يوم الأربعاء الخامس من شعبان فحضر هدم الدار المذكورة[60].

وقد اقتضى الصالح العام قيام السلطة في بعض الأحيان بهدم العمائر، أيًا كانت مسمياتها، وأيًا كان من يمتلكها، ومن أمثلة ذلك ما قام به الملك الأشرف إينال في سنة 863هـ/1459م بالنزول إلى جزيرة بولاق، حيث أمر بهدم الكثير من الأماكن والأخصاص هناك، والتي كان بناؤها بطريقة عشوائية وتسببت في ضيق الطرق ومضايقة المارة، ونودي في حينها بأن لا يُبنى بساحل جزيرة أروى وبولاق بناء يضيق به الطريق، ونزل والي الشرطة بأعوانه إلى بولاق واستمر بها لعدة أيام حتى هدم ما أمر السلطان بإزالته[61].

- هدم المباني نتيجة للفتن والاضطرابات السياسية والدينية

تسببت الفتن السياسية والدينية في هدم الكثير من العمائر والمباني في القاهرة وخارجها، لا سيما في هذا العصر الذي اتسم بكثرة الفتن والاضطرابات السياسية والدينية والاجتماعية، فنجد مثلًا ما نتج عن الفتن الطائفية بين النصارى والمسلمين من هدم بعض الكنائس، نذكر منها على سبيل المثال هدم العامة لكنيسة في ناحية النحريرية[62] في سنة 754هـ/1353م[63]. وكذلك هدم كنسية أخرى في ناحية شبرا[64] في سنة 755هـ/1354م بسبب خرافة "أصبع الشهيد"، وهذه الخرافة هي التي كان يترتب عليها كثير من الفتن والمفاسد[65].

وقد استفاد الأمير شيخو من الأحجار التي نتجت عن هدم كنسية شبرا في بناء جامعه، وجانب من الخانقاه المعروف باسمه[66]. كما هدمت كنيسة أخرى في سنة 780هـ/1378م ناحية أبي النمرس بالجيزية[67] وجُعلت مسجدًا[68].

وهدم الأمير سودون الشيخوني نائب السلطنة ما استجد من بناء في الكنيسة المعلقة بقصر الشمع في سنة 786هـ/1384م[69]. وأيضًا ما قام به الشيخ سَليم، وهو أحد شيوخ الأزهر، في سنة 818هـ/1415م، من هدم إحدى كنائس الجيزة في البر الغربي، بحجة أن النصارى استجدّوا فيها

بعض الأماكن، وقد تقدّم النصارى بشكوى إلى السلطان المؤيد شيخ بأن الشيخ سليم قد تجاوز الحد، إذ قام بهذا الأمر دون حكم قضائي، فما كان من السلطان المؤيد شيخ إلا أن استدعاه وأهانه على ما فعل، ثم سمح للنصارى بإعادة بناء ما تهدم[70].

وهدمت كنيسة أخرى للنصارى بشبرا في سنة 840هـ/1437م، حيث أرسل السلطان الأشرف برسباي جانبك الأستادار إليها وهدمها[71]. كما هدم جانبًا من الكنيسة المعلقة في سنة 842هـ/1439م في حضور القضاة ومعهم إذن من السلطان، وهذا الجانب كان قد استجد فيها ما بين شبابيك مخروطة وكتيبات مطعمة ودقيسيات، وألزموا بتكملة هدم البناء المجدد الزائد عن المقدار الذي حكم لهم بترميمه نائب القاضي الحنفي[72].

لم يتوقف الأمر عند النصارى، وإنما طال الهدم أيضًا كنائس اليهود، ففي حادثة ارتبطت بالحافظ ابن حجر الذي كان يتولى قضاء الشافعية والفتيا في زمن الأشرف برسباي وتحديدًا في سنة 831هـ/1428م، فقد أصدر أمرًا بهدم ما أحدثه اليهود من بنايات في كنيس لهم بالقاهرة، وهي عبارة عن درب وسياج محيط كالسور على الكنسية بُنيت على مواضع كثيرة لبعض الدور المهدمة للمسلمين، وكان اليهود قد قاموا برفع محضر بإثبات أحقيتهم في بناء هذه الأماكن وأنها مختصة بالكنيسة وليس فيها شيء من أبنية المسلمين ولا من حقوقهم، ورفع بعض المسلمين محضرًا يناقض كلامهم حول ذلك، فأذن السلطان للقاضيين الشافعي والحنبلي بأن يتوجها بمفردهما ومعهما ناظر الأوقاف إلى المكان المذكور ويعاينا المباني المستجدة على الواقع ويفعلا اللازم، فيقول ابن حجر:

"لما تأملت المحضرين وشاهدت الأمكنة المجددة أغنت المشاهدة عن الخبر فظهر الحق... لكن رأيت الغوغاء قد اجتمعوا ومعهم المساحي والمعاول، فلو أذنت بهدم شيء ما لهدمت الكنيسة كلها ونهب ما فيها، وكان ذلك وقت العصر فقلت لهم: لا بد من كشف كنيسة النصارى حتى ينظر ما أحدثوا أيضًا ويهدم الجميع، فأعجبهم ذلك وافترقنا على العود في أول النهار... وكنت عند الافتراق أمرت الوالي أن يزيل ما أحدثوه من الأبنية الجديدة كلها بالليل ففعل ذلك وانحسمت المادة بعون الله تعالى"[73].

وفي ذات السياق فقد عزم الشيخ ناصر الدين محمد بن علي الطنتداوي على هدم الدير الذي كان موجودًا في الوجه البحري، وقد أحضر محضرًا إلى السلطان يتضمّن أسباب عزمه على هذا الهدم، حيث إنّ النصارى يقصدون هذا الدير في كل عام ويحجّون إليه ويجتمع فيه من النصارى والمسلمين جمع وافر للفرجة والتجارة، حتى صاروا يضاهون في ذلك أهل الموقف بعرفة، ويقع منه

من المفاسد ما لا يعبّر عنه، وأنّ العلماء أفتوا بهدم هذا الدير وإزالة تلك العادة، ففوّض السلطان الأمر في ذلك للقاضي المالكي للنظر في الأمر، إلا أن ابن حجر انتقد القاضي في تأخره عن هدم الدير حيث قال: "ففوض السلطان الأمر للقاضي المالكي، فلم يتفق أنه يقوم في ذلك حق القيام حتى كان ذلك في السنة المقبلة، فهدم ولله الحمد"[74].

وتجدر الإشارة إلى أن السلطة المملوكية كانت تتحقق من مسألة هدم الكنائس ومدى مشروعيتها تحققًا دقيقًا، لحساسية هذا الأمر وخطورته بالنسبة للسلم العام في الدولة، ولذا نجد الكثير من الشواهد التاريخية تدل على تريث السلطة المملوكية عند أخذ قرار بهدم دور العبادة للنصارى أو اليهود، نذكر منها على سبيل المثال اجتماع القضاة في القاهرة خلال عهد المظفر بيبرس الجاشنكير لمناقشة مسألة هدم دور العبادة من الكنائس والمعابد، وأخذوا يتحاجُّون في ذلك فقهيًا، خاصة بعد أن أفتى بهدمها الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعة[75]، مما ترتب عليه تعدِّي العامة على بعض الكنائس وهدمها، فرفض قاضي القضاة تقي الدين محمد بن دقيق العيد[76] فتوى وجوب هدم الكنائس التي أطلقها ابن الرفعة، واحتج بأن وجوب الهدم يكون في حالة إقامة البيّنة على أنها أُحدِثت في الإسلام، أما غير ذلك فلا يجب التعرض له، فوافق الجميع على رأي قاضي القضاة ابن دقيق العيد، وتبنت السلطة هذا الحكم[77].

كما جرى تحقيق من جانب السلطة المملوكية في هدم كنيسة خاصة باليهود في مدينة القدس، وكان ذلك في سنة 879هـ/1474م، حيث رسم السلطان الأشرف قايتباي (872-901هـ/1468-1496م) باعتقال قاضي القدس ومجموعة من أعيان أهلها، وهم قاضي القدس شهاب الدين بن عبية الشافعي، والشيخ برهان الدين الأنصاري وولديه، أبي العزم شمس الدين بن ناصر الدين، وناصر الدين الدمشقي، وعلي بن نصير، وخليل بن عليان، والشيخ حسن الشويخ، والشيخ علي بن الحوراني، فتم القبض عليهم ووضعوا في الحديد، ووصلوا إلى القاهرة في أواخر شهر شعبان، ووقفوا بين يدي السلطان، وكانوا ثلاثة وعشرين نفرًا، فسألهم عن كيفية هدم الكنيسة المتعلقة باليهود بالقدس، وكيف ساغ لهم فعل ذلك بغير أمر سلطاني، فأجاب القاضي بجواب مُسْكت، فما قبله السلطان، وأمر بالقاضي والجماعة فضربوا وأسلمهم لوالي الشرطة وجرى عليهم ما لا خير فيه، ثم عقد مجلسًا قضائيًا في دار يشبك الدوادار، وآل الأمر إلى أن نقض قاضي القدس حكمه بنفسه، ورجع عنه، وحكم بإعادة الكنيسة[78].

وقد ذكر العليمي في كتابه الأنس الجليل، وكان شاهد عيان على هذه الحادثة، مزيدًا من التفاصيل حول حادثة هدم كنيسة اليهود بالقدس، فيذكر أنه كان بحارة اليهود بالقدس الشريف مسجد للمسلمين عليه منارة، وكان ملاصقًا لكنيس لليهود من جهة القبلة، وكان يستخدم المسلمون زقاقًا مستطيلًا للوصول إلى المسجد للصلاة.

وفي تلك السنة نزل مطر شديد هدم دارًا من جملة أوقاف الكنيسة، فكشف باب المسجد من جهة الغرب، فقصد المسلمون الاستيلاء على الدار المنهدمة وأن يكون الاستطراق إلى المسجد منها لكونها على الشارع مباشرة، فيكون أقرب للمصلين من الزقاق لبعده عن باب المسجد. ولكن اليهود امتنعوا عن ذلك ورفعوا أمرهم للقضاة وأظهروا مستندًا يشهد لهم باستحقاقهم للدار المذكورة. فنظر القضاة في هذه القضية، وهم القاضي الشافعي والحنفي والحنبلي، وكان العليمي حاضرًا هذا المجلس، فتبين أن الدار من جملة أوقاف اليهود وأن الحق لهم فيها، وانفصل المجلس على ذلك.

لكن الأحداث لم تقف عند هذا الحد، بل تطور الأمر وتم هدم الكنيسة عن آخرها في شهر رجب 879هـ/ديسمبر 1474م، فما كان من السلطان المملوكي إلا أن أمر باعتقال ومعاقبة من تسبب في هذا الهدم دون مرسوم السلطان، وقرر مجلسًا قضائيًا حكم بإعادة بناء الكنيسة، وشرع اليهود في إعادة بنائها بآلاتها القديمة في يوم الخميس الحادي عشر من ربيع الآخر 880هـ/27 أغسطس1475م[79].

وقد ذكر السخاوي عن الحادثة السابقة أن الأمير يشبك الدوادار كان ينحاز إلى جانب اليهود في قضية الكنيسة السابقة الذكر، حيث إنه قد قابله وتحدث معه عن هذه الحادثة، وكيف كان له من قوة البأس بأن يفصل النزاع بإعادة بناء الكنيسة التي زعم اليهود بقدمها ببيت المقدس بعد أن هدمها المسلمون، وبالفعل قد عادت، فقال: "واعتذر هو عندي بأن قيامه ليس محبَّة فيهم ولكن للوفاء بعهدهم"[80].

لم يقف الأمر في قضايا الهدم عند الفتن الناجمة عن الاضطرابات الدينية، بل امتدت أيدي الهدم لكثير من العمائر والمباني بسبب الفتن والتمردات السياسية، فقد أشارت المصادر إلى أن مدرسة السلطان حسن كانت تستخدم حصنًا للمتمردين أثناء الفتن بين أمراء المماليك، ففي أثناء فتنة الأمير منطاش[81]، الذي تحصن مع أنصاره في مدرسة السلطان حسن، قاموا برمي النشاب والحجارة على أنصار الأمير يلبغا الناصري[82] من جوانب القبة وأعلى المأذنتين اللتين كانتا مستودعًا للأحجار والنشاب والقذائف المختلفة، وصار الرمي المتبادل بين القلعة والمدرسة متواصلًا حتى

اشتد الرمي على المدرسة وأصاب حجر القبة وخرقها[83]، وهذا ما دفع السلطان الظاهر برقوق إلى أن يأمر في الثامن من شهر صفر 793هـ/14 يناير 1391م "بهدم سلالم البوابة التي لمدرسة السلطان حسن والبسطة التي قدام الباب إلى العتبة، وقفل الباب وسد من داخله، وأمر بفتح شباك مقابل باب الإصطبل وجعل بابًا إلى المدرسة فصار الناس يستطرقون منه، وكان أحد قاعات المدرسين، وسدت الطرق إلى الأسطحة والمؤاذن وأبطل الأذان على المنارتين، وجعل على الباب الذي فتح، كل ذلك لما حدث من منطاش ومن بعده من اتخاذهم المدرسة المذكورة عدة لمن يحاصر القلعة، ودام ذلك دهرًا طويلًا إلى أن أمر الأشرف برسباي قبل الثلاثين وثمانمائة بفتح الباب الكبير وإعادة السلم والبسطة فأعيد جميع ذلك"[84].

وقد عادت الكرة مرة أخرى في سنة 842هـ/نوفمبر 1438م في أحداث فتنة الأمير قرقماس، والمماليك الأشرفية[85]، ضد الظاهر جقمق (842-857هـ/1438-1453م)، فقد استغلوا كذلك مبنى مدرسة السلطان حسن حيث قام المماليك الأشرفية بحرق باب المدرسة ليتمكنوا من الرمي على القلعة من أعلاها، ولكن السلطان الظاهر جقمق تمكن من الانتصار على قرقماس والأشرفية، ثم في يوم الخميس الخامس من شهر ربيع الآخر اجتمع القضاة بجامع القلعة وحكم قاضي القضاة شمس الدين محمد البساطي المالكي بهدم سلالم مأذنتي مدرسة السلطان حسن وهدم سلالم سطحها، وألزم الناظر في مجلس الحكم بهدم ذلك، فمضى وهدمه[86].

وفي ذات المعنى أمر السلطان الناصر فرج في شهر جمادى الأولى سنة 814هـ/سبتمبر 1411م بهدم بعض الأماكن القريبة من القلعة بسبب استغلال الأمراء المتمردين على السلطة لهذه الأماكن للتحصن بها والهجوم على القلعة، وذلك في الفتنة التي اشتعلت في القاهرة بداية شهر رمضان سنة 813هـ/يناير 1411م. وكان من بين هذه الأماكن مدرسة الملك الأشرف شعبان المعروفة بأنها كانت في غاية الحسن والكمال، إذ أراد الملك الأشرف أن يضاهي بها مدرسة عمه السلطان الناصر حسن[87].

ويذكر ابن حجر تفصيلًا أكثر عن هدم مدرسة الأشرف شعبان بقوله: "ثم جاء الناصر في هذه السنة فعكره مكان بقعتها، لأن المتغلبين صاروا يستعينون بها على حصار القلعة بالنزول فيها فهدمها، فصارت رابية عالية، وحوّل ما ينتفع به من حجارتها وأخشابها إلى الأمكنة التي يريدها، فبقيت كذلك إلى أواخر دولة المؤيد، فأمر بعمارتها مارستانًا وسكن به بعض المرضى، ومات المؤيد فحولوه بعده جامعًا ومنزلًا للواردين. وأمر في هذا الشهر أيضًا بهدم الدور الملاصقة لسور القلعة تحت الطبلخاناه وغيرها، فهدمت ثم باب القرافة وتشتت سكانها"[88].

- هدم مفتعل للتخلص من الخصوم والأعداء:

ويتصل بالعنصر السابق، ما أشارت إليه بعض المصادر من هدم العمائر بقصد التخلص ممن هم بداخلها من الخصوم، ومثال ذلك ما حدث في شهر صفر من سنة 792هـ/يناير 1390م، حيث أُرسل محضر من مدينة الفيوم يفيد بسقوط حائط أحد السجون هناك على من في داخله من الأمراء المعتقلين وماتوا جميعًا. ووصفت المصادر ذلك المحضر بأنه "محضر مفتعل"[89]. وهؤلاء الأمراء هم: تمر باي الحسني، وقرابغا الأبو بكري، وطغاي تمر الجركتمري، ويونس الأسعردي، وقازان السيفي، وتنكز العثماني، وأردنبغا العثماني وعيسى التركماني[90].

وقد ذكر ابن تغري بردي، المعروف باهتمامه بسِيَر الأمراء الأتراك، أن هؤلاء الأمراء قد قتلوا عمدًا بأمر من الأمير منطاش، الذي أمر والي الفيوم في الباطن بقتل جماعة كبيرة من الأمراء المعتقلين بحبس الفيوم، ثم قَدم محضرا مفتعلا من كاشف الفيوم كان نصه: "أنه لما كان يوم الجمعة... سقط على الأمراء المسجونين حائط سجنهم فماتوا جميعًا، فعظم ذلك على الناس إلى الغاية، كونهم من أكابر الأمراء وأعيان الدولة، وهم: الأمير تنكز العثماني اليلبغاوي أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، وكان من الشجعان، وتمان باي الأشرفي نائب البهنسا، وكان من أكابر المماليك الأشرفية، وهو من خشداشية منطاش، لكنه كان من حزب الناصري، وتمر باي الحسني الأشرفي حاجب الحجاب بالديار المصرية، ومن أجل المماليك الأشرفية، وهو حمو الوالد وكان من الشجعان، وجقمق الكمشبغاوي أحد أعيان أمراء مصر والشام، وكان من حزب الناصري، وتمر الجركتمريّ أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، وكان من حزب الملك الظاهر برقوق، وقطلوبغا الأحمدي اليلبغاوي أحد أمراء العشرات بالقاهرة، وعيسى التركماني أحد أمراء الطبلخانات بمصر، وقد ولي عدة أعمال، وقرابغا البوبكري أمير مجلس وأحد مقدّمي الألوف بالديار المصرية، وقرقماش الطشتمري أستادار العالية والخازندار، والدوادار الكبير بالديار المصرية، تنقل في جميع هذه الوظائف وغيرها، وكان أولًا من حزب الظاهر، ثم صار من بعد خلعه من حزب يلبغا الناصري، ويونس الإسعردي الرماح الظاهري أحد أمراء الطبلخانات ولم يكن في المماليك الظاهرية من يضاهية في حسن الشاكلة ولا في لعب الرمح. قُتل الجميع في يوم واحد حسب ما ذكرناه"[91].

- الهدم بحثًا عن الكنوزوالثروات:

كانت أركان البيوت وجدرانها أماكن مناسبة لإخفاء الثروات، لذا اتجهت السلطة أحيانًا إلى هدمها للكشف عن الخبايا المخفية بداخلها، حيث قام النشو بهدم جدران وأرضيات وسلالم بعض البيوت في القاهرة في سنة 737هـ/1337م للبحث عن الثروات، كما كان يحرث الأرض بالمحاريث لإظهار ما فيها من خبايا[92]. وبعد اعتقال النشو ومصادرة أملاكه أرسل السلطان الناصر محمد الأمير آقبغا إلى دور آل النشو بحارة المصاصة من مصر، وخربها كلها حتى سوى بها الأرض وحرثها بالمحاريث في طلب الخبايا[93].

كما جاء إلى السلطان الظاهر جقمق في سنة 857هـ/1453م أحد الأشخاص يثبت بأن عنده ما يدلّ على أنه بمكان عن يمين محراب جامع الحاكم صندوق من بلّور فيه أوراق تدلّ على خبيئة بالجامع من أعظم الخبايا، فأمر السلطان بهدم الجدار الذي تم تعيينه، وذلك بحضور علم الدين البلقيني، والجمال ابن كاتب جكم، ومعهما جماعة من أرباب الدولة، وحضر عُمّال الهدم، وأخذوا في هدم ذلك المكان حتى استأصلوه، فلم يجدوا شيئًا، وكان يومًا مشهودًا، تزاحم الناس للفرجة عليه، ودام أيامًا بعد ذلك على عادة بعض المصريّين في مثل هذه الخرافات[94].

- هدم المباني عقابًا لبعض الأشخاص

استخدمت السلطة المملوكية هدم المباني وسيلة لعقاب بعض الأشخاص على جرمهم الذي ارتكبوه، نذكر منهم على سبيل المثال هدم دار محمد بن أبي الثناء المعروف بالهرماس[95] في سنة 761هـ/1360م، وذلك بعد غضب السلطان الناصر حسن عليه بسعي بعض خصومه، فأمر بضربه بالمقارع وهدم داره ونفيه إلى مصياف، فقبض عليه هو وولده، ونزع عنه ثيابه وضرب بالمقارع، وقد كانت داره تهدم وهو يشاهد ذلك، وفيه يقول ابن الصائغ الحنفي:

نال هرماس الخسارة بعد ربح وجسارة

وحَسَب البُهْتان يبْقى أخرب الله دياره[96]

النتائج:

استعرض البحث الأسباب التي أدت إلى هدم المباني وسقوطها في مصر في عصر سلاطين المماليك، وقد اتضح أن هذه الأسباب تتمثل في نوعين: الأول هو الأسباب الطبيعية مثل الزلازل والأمطار والفيضانات والسيول، وقد حاولت السلطة أن تحد من مخاطر هذه العوامل عن طريق إقامة السدود وترميم بعض الأماكن المهدمة وتعويض المتضررين.

وقد كان ضعف البناء وقِدمه سببًا مهمًا لسقوط تلك المباني، فقد سقطت بعض مباني القاهرة لاهترائها وقِدمها، مما أدى إلى حدوث خسائر بشرية كبيرة لأن سقوط هذه المباني كان يحدث فجأة ودون إنذار مسبق.

أما الثاني فهو الهدم الناتج عن العوامل البشرية، حيث قامت السلطة المملوكية بإصدار أوامر بهدم كثير من العمائر المخالفة، والتي لا تستند على أساس قانوني أو شرعي لبنائها، وذلك حفاظًا على الممتلكات العامة والخاصة في الدولة من اعتداء بعض الأشخاص عليها، سواء كان ملاكها من رجال الدولة أم من بعض الأسر التجارية أو العلمية.

يضاف إلى ذلك الفتن السياسية والدينية التي تسببت في هدم الكثير من العمائر والمباني في القاهرة وخارجها، لا سيما في هذا العصر الذي اتسم بكثرة الفتن والاضطرابات السياسية والدينية والاجتماعية.

وقد استخدمت السلطة الهدم وسيلة للعقاب لمن ارتكب جرمًا يستحق عليه هدم داره، مثال ذلك ما أقدمت عليه السلطة من هدم أركان بعض البيوت والمنازل بحثًا عن الثروات التي كان يخفيها أصحابها عن أعين السلطة.

وقد ترتب على هذه الظاهرة آثار متعددة على الجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي، من بينها الأضرار التي وقعت على الكثيرين من السكان، حيث اضطر الكثير من السكان إلى مغادرة منازلهم، رغم طول إقامتهم فيها، فضلًا عن عدم وجود مساكن بديلة يمكنهم أن ينتقلوا إليها، فوقع لهم الكثير من الضرر. يضاف إلى ذلك أن الدولة كانت تستفيد من المباني التي هُدِّمت أو سقطت في استخدام ما يصلح منها من مواد البناء مثل الرخام والأخشاب لاستخدامها في بناء المباني الجديدة.

الملاحق:

خريطة رقم (1)

مدينة القاهرة في عهد المماليك

نقلًا عن: ريمون، القاهرة، 113.

الهوامش والإحالات:

(1) سيد، القاهرة وتطورها: 195.

(2) نفسه: 199.

(3) النعيمي، تاريخ المدارس: 99/1. سيد، القاهرة وتطورها: 200. ومن أمثلة هذه المدارس بدمشق: دار الحديث الأشرفية، دار الحديث النورية، دار الحديث الكاملية، دار الحديث العادلية الكبرى، دار الحديث الناصرية. أما مدارس القاهرة فمنها: المدرسة الظاهرية، المدرسة المنصورية، المدرسة الناصرية، مدرسة السلطان حسن، المدرسة المؤيدية.

(4) الآجُر: من أقدم مواد البناء الاصطناعية وأكثرها استعمالًا في الحضارات القديمة، وهو طوب طيني محروق على شكل مستطيل مقاساته مختلفة من منطقة لأخرى. للمزيد ينظر: نعمان، الصناعة التقليدية: 38-43.

(5) عكاشة، العمارة الإسلامية: 30.

(6) نفسه؛ والكِلْس الأبيض هو مادة تستخدم في طلاء الحوائط يشبه الجِصّ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 197/6.

(7) ابن جبير، التذكرة: 23/1. البغدادي، الإفادة والاعتبار: 113-114.

(8) البغدادي، الإفادة والاعتبار: 113.

(9) الخليج الكبير بالقاهرة أو الخليج المصري، هو خليج قديم، يسمى خليج مصر، وكان قد جدد حفره عمرو بن العاص بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، وكان يسير في القاهرة من فم الخليج شمال مصر القديمة متجهًا إلى الشمال حتى نهاية المدينة. وقد ردم هذا الخليج في سنة 1896م. ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 365/7، 366.

(10) بركة الفيل: هي بركة كبيرة في ظاهر القاهرة تمتد من بستان الحبانيّة إلى بستان سيف الإسلام إلى تحت الكبش إلى الجسر الأعظم الفاصل بينها وبين بركة قارون، وتتطل عليها مناظر الكبش، وبدأ الناس في التعمير حولها في سنة 600هـ/1204م. وتشغل حاليًا في القاهرة المنطقة التي تُحدّ من الشمال بسكة الحبانية، ومن الغرب بشوارع درب الجماميز والخليج المصري، ومن الجنوب شارع مراسينا، ومن الشرق شارع نور الظلام. ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 4/ 45.

(11) باب زَوِيلَة: هو باب زويلة الكبير الذي بناه أمير الجيوش بدر الجمالي على سور القاهرة من جهة الجنوب في سنة 485هـ/1092م. ينظر: ابن عبدالظاهر، الروضة البهية: 16-18. النويري، نهاية الأرب: 238/28. المقريزي، الخطط: 267/2، 268.

(12) الحارة الحسينية: تنسب إلى مجموعة من الأشراف الحسينيين الذين جاءوا من الحجاز واستوطنوها في عهد الملك الكامل محمد، وتقع خارج سور القاهرة تجاه باب الفتوح، ويتوسطها اليوم من الجنوب إلى الشمال شارع الحسينية وشارع البيومي من باب الفتوح إلى ميدان الأمير فاروق. ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 45/4.

(13) باب الفتوح: بناه أمير الجيوش بدر الجمالي سنة 480هـ/1087م، وقد أطلقت عليه الكتابة التاريخية الخاصة بالنص التأسيسي اسم "باب الإقبال". ينظر: المقريزي، الخطط: 267/2-268.

(14) المقريزي، الخطط: 223/2. للمزيد عن خطط القاهرة وعمرانها في العصر المملوكي ينظر: خريطة رقم (1) في ملاحق البحث.

(15) السيوطي، كشف الصلصلة: 203، 204. قارن أيضًا: النويري، نهاية الأرب: 59/32-61. الدوادار، زبدة الفكرة: 378، 379. مجهول، تاريخ سلاطين المماليك: 136-138. عبدالعال، زلزال عام 702هـ/1303م: 123-170.

(16) الشجاعي، تاريخ الناصر محمد: 260، 261؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه: 58/3، 60. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي: 338/2، 339. ابن قاضي شَهْبَة، تاريخ ابن قاضي شهبة: 360/2. ابن شاهين، نيل الأمل: 1/1، 169.

(17) ابن تغري بردي، حوادث الدهور: 1/ 263. ابن شاهين، نيل الأمل: 5/2، 409.

(18) الرَّبْاع: جمع الرَّبْع وهو المنزل ودار الإقامة، ويُقصد به في العمارة المملوكية مبنى به مجموعات من الوحدات السكنية، وغالبًا تعلو خان أو وكالة أو حوانيت، وكل مجموعة من هذه الوحدات لها مدخل خاص بها تسمى رَبْع. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 8/ 102. الزبيدي، تاج العروس: 21/ 22، 23.

(19) المقريزي، السلوك: 3/2، 769. ابن شاهين، نيل الأمل: 1/1، 169، 170.

(20) المقريزي، السلوك: 1/3، 12. ابن شاهين، نيل الأمل: 1/1، 276.

(21) المقريزي، السلوك: 3/2، 884. ابن شاهين، نيل الأمل: 1/1، 246.

(22) ابن حجر، إنباء الغمر: 384/2. ابن شاهين، نيل الأمل: 3/1، 160.

(23) المقريزي، السلوك: 2/4، 906. ابن حجر، إنباء الغمر: 512/3. ابن شاهين، نيل الأمل: 3/1، 160.

(24) المقريزي، السلوك: 4/ 2، 803؛ ابن شاهين، نيل الأمل: 4/1، 342 .

(25) المدرسة الفخرية القديمة: تنسب إلى الأمير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل الباروميّ، استادار الملك الكامل محمد، وكان قد انتهى من بنائها في سنة 622هـ/1225م، وتقع فيما بين سويقة الصَّاحب ودرب العَدَّاس. ينظر: المقريزي، الخطط: 466/4.

(26) ابن شاهين، نيل الأمل: 2/2، 522.

(27) علي القليوبي: لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه.

(28) عقوبة التوسيط: عقوبة التوسيط: يقصد بها القتل أو الإعدام بالسيف بضرب منطقة الوسط من جسم الإنسان بقوة، فينشطر نصفين. للمزيد ينظر: بدر، العقوبات: 297.

(29) ابن حجر: شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني الأصل، المصري المولد والنشأة. ولد في شهر شعبان سنة 773هـ، ونشأ يتيمًا، حيث توفي والده في سنة 777هـ، وماتت أمه قبل ذلك وهو طفل، وكفله ورعاه زكي الدين أبو بكر ابن نور الدين علي الخروبي. طلب العلم منذ صغره، وبرع في علوم الحديث واللغة والأدب، وله العديد من المصنفات المشهورة. ينظر: ابن حجر، رفع الإصر: 62، 63. السخاوي، الجواهر: 65، 101-103، 123.

(30) ابن شاهين، نيل الأمل: 5/2، 202.

(31) ابن حجر، إنباء الغمر: 234/4، 235.

(32) الأمير الأتابك سيف الدين شيخو الناصري، من مماليك الناصر محمد بن قلاوون، شغل مكانة عظيمة في عهد السلطان المظفر حاجي (747-748هـ)، وزادت وجاهته وقبل السلطان شفاعته في بعض الأمراء، واستمر على ذلك في عهد سلطنة الناصر حسن الأولى (748-752هـ)، ثم أصبح مدبّر الدولة في عهد السلطان الصالح صلاح الدين صالح (752-755هـ)، وسلطنة الناصر حسن الثانية (755-762هـ)، وتوفي في سنة 758هـ. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات: 124/16. ابن حجر، الدرر الكامنة: 350/2.

(33) خانقاه شيخو: يقع هذا الخانْقاه في سويقة مُنْعم بخُط الصليبة خارج القاهرة تجاه جامع شيخو، وقد أنشأها الأمير الكبير سيف الدين شيخو العُمري في سنة 756هـ/1355م، وجعلها مدرسة وخانقاه. ينظر: المقريزي، الخطط: 760/4.

(34) المقريزي، السلوك: 1/3، 24. ابن شاهين، نيل الأمل: 1/1، 278.

(35) علاء الدين ألطنبغا بن عبدالله الماردانى الناصري الساقي، من مماليك الناصر محمد بن قلاوون ومن المقربين عنده، وقد زوجه الناصر بابنته، وترقى حتى وصل إلى رتبة أمير مائة مقدم ألف، وأخذ تقلب في المناصب حتى تولى نيابة حلب في عهد الملك الصالح إسماعيل بن محمد ابن قلاوون، وظل بها حتى وفاته سنة 744هـ/1343م. ينظر: المقريزي، المقفى الكبير: 261/2، 262. ابن تغري بردي، المنهل الصافي: 67/3.

(36) يلبغا اليحياوي، كان من أخص خاصكية الناصر محمد بن قلاوون، وتولى الكثير من المناصب أبرزها نيابة حماة ثم نيابة حلب فنيابة دمشق في عهد الصالح إسماعيل. ثم قتل في سنة 748هـ/1347م. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة: 206/6، 207.

(37) مدرسة السلطان حسن: جامع ومدرسة السلطان حسن الشهيرة بالقاهرة، وتقع تجاه قلعة الجبل فيما بين القلعة وبركة الفيل، وقد أنشأها السلطان الناصر حسن ابن الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة في سنة 764هـ/1362م. المقريزي، الخطط: 269/4-281.

(38) المقريزي، الخطط: 310/2-316. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 10/ 306. ابن شاهين، نيل الأمل: 1/1، 317.

(39) خان الزكاة: أدركه المقريزي وذكر إن موقعه كان بين القصرين، ثم أقيمت عليه المدرسة الظاهرية الجديدة، أي مدرسة الظاهر برقوق. ومكانه اليوم جامع السلطان برقوق المجاور لجامع الناصر محمد بن قلاوون بشارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقًا) بالقاهرة. ينظر: المقريزي، الخطط: 679/4. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 122/10-123.

(40) جركس الخليلي: سيف الدين جركس بن عبدالله الخليل اليلبغاوي، أمير آخور الظاهر برقوق وكبير أمراء دولته، فكان عضد الظاهر برقوق منذ كان أتابكًا، وبعدما تسلطن، بقى لجركس كلمة نافذة في الدولة، وكانت له أملاكًا كثيرة أهمها خانه بالقاهرة المعروف بخان الخليلي. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي: 205/4، 206.

(41) أمير آخور: هو المسؤول عن الإشراف على اصطبل السلطان أو الأمير، ورعاية ما فيها من خيل وحيوانات، وكلمة (آخور) أصلها فارسي وتعني المعلف. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى: 461/5.

(42) المدرسة الظاهرية: مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق بشارع المعز، وتسمى المدرسة الظاهرية المستجدة تمييزًا لها عن المدرسة الظاهرية العتيقة التي أنشها الظاهر بيبرس، واكتمل بناءها في سنة 788هـ/1386م. ينظر: المقريزي، الخطط: 4/679، 680.

(43) المقريزي، السلوك: 2/3، 519. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 11/239-240. ابن شاهين، نيل الأمل: 1/2، 218.

(44) المقريزي، السلوك: 4، 1/202. المقريزي، الخطط: 4/262. ينظر أيضًا: ابن حجر، رفع الإصر: 281. السخاوي، الضوء اللامع: 5/12. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: 7/106.

(45) عبدالباسط بن خليل بن شاهين الظاهري الملطي، ولد في ملطية سنة 844هـ/1440م، وتوفي في القاهرة سنة 920هـ/1515م، وهو من أصول تترية من جهة جدة لأبيه "شاهين الشيخي"، له عدة مؤلفات في فنون متعددة، بلغت عشرين مؤلفًا. ابن شاهين، نيل الأمل: 1/1، 23- 51.

(46) ابن شاهين، نيل الأمل: 1/3، 213.

(47) قيسارية: وخْدَة معمارية تشبه سوق مستقل، تُحيط بها من الخارج حوانيت، وفي الداخل صَحْن تُحيط به حوانيت أيضا، ويكون لها عدّة مداخل، ويعلوها وحدات سكنية يسكنها في الغالب الصُنّاع الذين يبيعون إنتاجهم بالحوانيت. ينظر: أمين، وليلى، المصطلحات المعمارية: 92.

(48) الأمير الكبير الملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر الصالحي، من أعيان المماليك البحرية، حبسه الملك الناصر يوسف بحلب وعند دخول هولاكو لها قبض عليه وأخذه معه، واستمر أسيرا عند التتار إلى أن خلّصه الظاهر بيبرس بعد مبادلته بالأمير ليفون ابن التكفور صاحب سيس. وقبض عليه الأشرف خليل وسجنه وخنقه في سنة 691هـ/1292م، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات: 15/298-299. ابن تغري بردي، المنهل الصافي: 6/87، 88.

(49) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 14/31؛ ابن شاهين، نيل الأمل: 1/3، 284.

(50) خزانة شمايل: هي سجن خاص بوالي القاهرة، بجوار باب زويلة، وقد عرفت باسم الأمير علم الدين شمائل والي القاهرة في أيام الملك الكامل محمد ابن الملك العادل، وكانت من أشنع السجون وأقبحها منظرًا، ويحبس فيها من وجب عليه القتل، ومن يريد السلطان إهلاكه من المماليك وأصحاب الجرائم العظيمة. ينظر: المقريزي، السلوك: 1/1، 198. المقريزي، الخطط: 3/ 600.

(51) المقريزي، الخطط: 4/342-343. المقريزي، السلوك: 1/4، 310، 311. ابن حجر، إنباء الغمر: 2/ 56. ابن شاهين، نيل الأمل: 1/3، 284.

(52) المقريزي، السلوك: 2/4، 765. ابن شاهين، نيل الأمل: 1/4، 228.

(53) المقريزي، السلوك: 2/4، 803. ابن شاهين، نيل الأمل: 1/4، 256.

(54) المقريزي، السلوك: 2/4، 803. ابن شاهين، نيل الأمل: 1/4، 305.

(55) المقريزي، السلوك: 2/4، 934. ابن شاهين، نيل الأمل: 1/4، 361.

(56) ابن حجر، إنباء الغمر: 536/3.

(57) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 516/15-517.

(58) الصيرفي، نزهة النفوس: 308/3. ابن شاهين، نيل الأمل: 4/1، 367.

(59) ابن حجر، إنباء الغمر: 3/ 474، 475. ابن شاهين، نيل الأمل: 1/1، 318.

(60) ابن حجر، إنباء الغمر: 105/4. ابن شاهين، نيل الأمل: 5/2، 67.

(61) ابن شاهين، نيل الأمل: 6/2، 37-38.

(62) النحريرية أو النَّحّاريّة، بلدة من أعمال الغربية، وكان قد أنشأها نحرير الأرغلي الإخشيدي المعروف بابن الشويزاني في القرن الرابع الهجري، فعرفت بالنحريرية نسبة إليه. ينظر: ابن الجيعان، التحفة السنية: 70. رمزي، القاموس الجغرافي: 122/2.

(63) المقريزي، السلوك: 3/2، 900، 901؛ ابن كثير، البداية والنهاية: 14/ 249.ابن شاهين، نيل الأمل: 1/1، 258.

(64) ناحية شبرا أو شبرا الخيام من ضواحي القاهرة، وهي من القرى القديمة، واسمها المصري القديم شبرو، وهي شبرا الخيمة حاليًا التابعة لمحافظة القليوبية. رمزي، القاموس الجغرافي: 12/1، 13.

(65) المقريزي، السلوك: 3/2: 926، 927؛ ابن شاهين، نيل الأمل: 1/1، 268.

(66) ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة: 60/3، 61.

(67) الجيزية هي الجيزة، وتعني الناحية والجانب، ويقصد بها الأعمال الجيزية، وهي إحدى مدن محافظة الجيزة الآن. رمزي، قاموس البلدان المصرية: 3/4-5

(68) المقريزي، السلوك: 1/3، 340. ابن حجر، إنباء الغمر: 176/1، 177. ابن شاهين، نيل الأمل: 2/1، 145.

(69) ابن حجر، إنباء الغمر: 290/1. ابن شاهين، نيل الأمل: 2/1، 217.

(70) ابن حجر، إنباء الغمر: 74/3-75. ابن شاهين، نيل الأمل: 3/1، 296.

(71) ابن حجر، إنباء الغمر: 74/3، 75. ابن شاهين، نيل الأمل: 3/1، 296.

(72) ابن حجر، إنباء الغمر: 99/4.

(73) المقريزي، السلوك: 2/4، 1007. الصيرفي، نزهة النفوس: 382/3. ابن شاهين، نيل الأمل: 422/1،4.

(74) ابن حجر، إنباء الغمر: 40/4. ابن شاهين، نيل الأمل: 4/1، 416.

(75) نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعة شيخ الشافعية في زمانه، وُلِيّ حسبة مصر والوجه القبلي، وكان لا يبخل بجاهه أو ماله على طلابه ويسعى لهم في قضاء حوائجهم، وله كتاب سماه النفائس في هدم الكنائس، وتوفي في سنة 716هـ، ينظر: الصفدي، أعيان العصر: 326/1. الصفدي، الوافي بالوفيات: 257/4.

(76) محمد بن علي بن وهب بن مطيع المعروف بابن دقيق العيد، المجتهد المحدّث شيخ الإسلام تقي الدين المنفلوطي المالكي الشافعي، قاضي القضاة، ولد في سنة 625هـ، وتوفي في سنة 702هـ، ينظر: الذهبي، معجم الشيوخ: 249/2. الكتبي، فوات الوفيات: 442/3. الصفدي، أعيان العصر: 476/4. الصفدي، الوافي بالوفيات: 137/4. السبكي،

طبقات الشافعية: 9/ 207.

(77) المقريزي، السلوك: 3/1، 912.

(78) ابن شاهين، نيل الأمل: 7/2، 115.

(79) الحنبلي، الأنس الجليل: 2: 300-312.

(80) السخاوي، الضوء اللامع: 273/10.

(81) منطاش الأشرفي، نسبة إلى السلطان الأشرف شعبان بن حسين، وقد تنقل في الوظائف حتى ولاة الظاهر برقوق نيابة السلطنة بملطية في سنة 788هـ، ثم قاد تمردًا ضد الظاهر برقوق، إلى أن تم القبض عليه وأعدم في سنة 795هـ. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة: 129/6، 130.

(82) الأمير يلبغا الناصري، كان من أتباع يلبغا الخاصكي الكبير ومقدمًا في آخر دولة المماليك الأولى، وهو أحد الأمراء الذين شاركوا في صياغة الأحداث خلال تلك الفترة. تولى نيابة حلب، فعندما تولى الظاهر برقوق عَزَله عنها وسجنه بالاسكندرية، ثم أعاده إلى إليها في سنة 790هـ وتوفي في سنة 817هـ. ينظر: المقريزي، السلوك: 1/4، 295. ابن حجر، الدرر الكامنة: 6/ 210.

(83) المقريزي، السلوك: 2/3، 723.

(84) ابن حجر، إنباء الغمر: 1/ 414-415؛ ينظر كذلك: المقريزي، السلوك: 2/3، 723. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 12/ 18. ابن شاهين، نيل الأمل: 2/1، 300.

(85) المماليك الأشرفية: يقصد بهم مماليك الأشرف شعبان بن حسين.

(86) المقريزي، السلوك: 3/4، 1096. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 15/ 273. ابن شاهين، نيل الأمل: 5/2، 58.

(87) المقريزي، السلوك: 1/4، 183. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 13/ 123. ابن شاهين، نيل الأمل: 3/1: 218.

(88) ابن حجر، إنباء الغمر: 2/ 492.

(89) المقريزي، السلوك: 2/3، 696. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 122/12. ابن شاهين، نيل الأمل: 286/1،2.

(90) المقريزي، السلوك: 2/3، 696. ابن شاهين، نيل الأمل: 2/1، 286.

(91) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 122/12.

(92) المقريزي، السلوك: 2/2، 422.

(93) نفسه: 2/2، 487.

(94) ابن شاهين، نيل الأمل: 5/2، 409.

(95) الهرماس: محمد بن أبي الثناء بن ماضي قطب الدين المقدسي المعروف بالهرماس، ولد قبل 690هـ، وولي إمامة الجامع الحاكمي، ثم اتصل بالناصر حسن وحظي عنده بمكانة كبيرة، ثم سعى عليه بعض خصومه فعوقب ونفي إلى مصياف ببلاد الشام. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة: 5/ 151، 152.

(96) ابن شاهين، نيل الأمل: 1/1، 318.

قائمة المصادر والمراجع:

1) أمين، محمد، وإبراهيم، ليلى علي. المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية (648-923هـ/1250-1517م)، الجامعة الأمريكية، القاهرة، 1990م.
2) بدر، منى محمد، العقوبات وطرق تنفيذها من خلال صور المخطوطات الإسلامية من القرن السابع حتى القرن الحادي عشر الهجري/13-17م، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مصر، مج43، 2005م.
3) البغدادي، عبد اللطيف بن يوسف، رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر أو كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تحقيق: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.
4) ابن تغري بردي، يوسف، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت.
5) ابن تغري بردي، يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1932م.
6) ابن تغري بردي، يوسف، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، 1990م.
7) ابن جبير، أبو الحسين حمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ت.
8) ابن الجيعان، شرف الدين يحيى التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1974م.
9) ابن حبيب، الحسن بن عمر، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبينه، تحقيق: محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010م.
10) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،1969م.
11) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1972م.
12) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م.
13) الحنبلي، العماد عبدالحي بن أحمد بن محمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، 1986م.
14) الدوادار، بيبرس، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: دونالد س. ريتشاردز، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1998م.

15) رمزي، محمد، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، القسم الثاني: البلاد الحالية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م.
16) ريمون، أندريه، القاهرة تاريخ حاضِرة، ترجمة: لطيف فرج، دار الفكر، القاهرة، 1994م.
17) السبكي، عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1964م.
18) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
19) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، 1999م.
20) سيد، أيمن فؤاد، القاهرة خططها وتطورها العمراني، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2015م.
21) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، 1987م.
22) ابن شاهين، عبد الباسط بن خليل، نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 2002م.
23) الشجاعي، شمس الدين، تاريخ الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده. تحقيق: بربارة شِيفر، فرانز شتاينر، فسبادن، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، 1978م.
24) شهبة، أبو بكر بن أحمد ابن قاضي، تاريخ ابن قاضي شهبة. تحقيق: عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1994م.
25) الصفدي، خليل بن أيبك، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1998م.
26) الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: هلموت ريتر وآخرين، فرانز شتاينر، فسبادن، 1962-2008م.
27) الصيرفي، علي بن داود، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1973م.
28) ابن عبد الظاهر، عبد الله، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1996م.
29) عبد العال، سيد، زلزال عام 702هـ/1303م وأثره في مصر المملوكية"، مجلة وقائع التاريخية، مركز الدراسات التاريخية، جامعة القاهرة، مصر، ع13، 2010م.
30) عكاشة، علياء، العمارة الإسلامية في مصر، بردي للنشر، الجيزة، 2008م.

31) العليمي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس، عمان، د.ت.
32) مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق: سترستين، بيريل، ليدن، 1919م.
33) المقريزي، أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، 2009م.
34) المقريزي، أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2013م.
35) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
36) ابن نعمان، إسماعيل، الصناعة التقليدية للآجر والقرميد المقعر في بلاد المغرب الإسلامي، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب، مصر، ع14، 2013م.
37) النعيمي، عبد القادر بن محمد، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحسني، المجمع العلمي العربي دمشق، 1948م.
38) النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مجموعة محققين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ.
39) ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

Arabic References

1) Amīn, Muḥammad, wa Ibrāhīm, Laylá ʿAlī. al-muṣṭalaḥāt al-miʿmārīyah fī al-wathāʾiq al-Mamlūkīyah (648-923h / 1250-1517m), al-Jāmiʿah al-Amrīkīyah, al-Qāhirah, 1990.
2) Badr, Munā Muḥammad, al-ʿuqūbāt & ṭuruq tanfīdhihā min khilāl ṣuwar al-Makhṭūṭāt al-Islāmīyah min al-qarn al-sābiʿ ḥattá al-qarn al-ḥādī ʿashar al-Hijrī / 13-17m, al-Jamʿīyah al-Miṣrīyah lil-Dirāsāt al-tārīkhīyah, Miṣr, V43, 2005.
3) al-Baghdādī, ʿAbd al-Laṭīf Ibn Yūsuf, Riḥlat ʿAbd al-Laṭīf al-Baghdādī fī Miṣr aw Kitāb al-Ifādah & al-iʿtibār fī al-umūr al-mushāhadah & al-ḥawādith al-muʿāyanah bi-arḍ Miṣr, ed. ʿAbd al-Raḥmān ʿAbd Allāh al-Shaykh, al-Hayʾah al-Miṣrīyah al-ʿĀmmah lil-Kitāb, al-Qāhirah, 1998.
4) Ibn tghry Bardī, Yūsuf, al-Manhal al-Ṣāfī & al-mustawfī baʿda al-Wāfī, ed. Muḥammad Muḥammad Amīn, al-Hayʾah al-Miṣrīyah al-ʿĀmmah lil-Kitāb, al-Qāhirah, N. D.

5) Ibn tghry Bardī, Yūsuf, al-nujūm al-Zāhirah fī mulūk Miṣr & al-Qāhirah, Dār al-Kutub & al-Wathā'iq al-Qawmīyah, al-Qāhirah, 1932.
6) Ibn tghry Bardī, Yūsuf, ḥawādith al-duhūr fī Madá al-Ayyām & al-shuhūr, ed. Muḥammad Kamāl al-Dīn ʿIzz al-Dīn, ʿĀlam al-Kutub, Bayrūt, 1990.
7) Ibn Jubayr, Abū al-Ḥusayn Ḥamad Ibn Aḥmad, Riḥlat Ibn Jubayr, Dār & Maktabat al-Hilāl, Bayrūt, N. D.
8) Ibn aljyʿān, Sharaf al-Dīn Yaḥyá al-Tuḥfah al-sanīyah bi-asmā' al-bilād al-Miṣrīyah, Maktabat al-Kullīyāt al-Azharīyah, al-Qāhirah, 1974.
9) Ibn Ḥabīb, al-Ḥasan Ibn ʿUmar, Tadhkirat al-Nabīh fī Ayyām al-Manṣūr wbynh, ed. Muḥammad Muḥammad Amīn, Maṭbaʿat Dār al-Kutub & al-Wathā'iq al-Qawmīyah, al-Qāhirah, 2010.
10) Ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī, Aḥmad Ibn ʿAlī, Inbā' alghmr b'bnā' al-ʿumr, ed. Ḥasan Ḥabashī, al-Majlis al-Aʿlá lil-Shu'ūn al-Islāmīyah, al-Qāhirah, 1969.
11) Ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī, Aḥmad Ibn ʿAlī, al-Durar alkāmnh fī aʿyān al-mi'ah al-thāminah, ed. Muḥammad ʿAbd al-muʿīd Khān, Majlis Dā'irat al-Maʿārif al-ʿUthmānīyah, Ḥaydar Ābād, 1972.
12) Ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī, Aḥmad Ibn ʿAlī, Rafʿ al'ṣr ʿan Quḍāh Miṣr, ed. ʿAlī Muḥammad ʿUmar, Maktabat al-Khānjī, al-Qāhirah, 1998.
13) al-Ḥanbalī, al-ʿImād ʿbdālḥy Ibn Aḥmad Ibn Muḥammad, Shadharāt al-dhahab fī Akhbār min dhahab, ed. Maḥmūd al-Arnā'ūṭ, Dār Ibn Kathīr, Dimashq, 1986.
14) aldwādār, Baybars, Zubdat al-fikrah fī Tārīkh al-Hijrah, ed. dwnāld S. rytshārdz, al-Sharikah al-Muttaḥidah lil-Tawzīʿ, Bayrūt, 1998.
15) Ramzī, Muḥammad, al-Qāmūs al-jughrāfī lil-bilād al-Miṣrīyah, al-qism al-Thānī: al-bilād al-ḥālīyah, al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-ʿĀmmah lil-Kitāb, al-Qāhirah, 1994.
16) Rīmūn, André, al-Qāhirah Tārīkh ḥāḍirh, tarjamat : Laṭīf Faraj, Dār al-Fikr, al-Qāhirah, 1994.
17) al-Subkī, ʿAbd al-Wahhāb Ibn ʿAlī, Ṭabaqāt al-Shāfiʿīyah al-Kubrá, ed. Maḥmūd Muḥammad al-Ṭanāḥī & ʿAbd al-Fattāḥ al-Ḥulw, Dār Iḥyā' al-Kutub al-ʿArabīyah, al-Qāhirah, 1964.
18) al-Sakhāwī, Muḥammad Ibn ʿAbd al-Raḥmān, al-ḍaw' al-lāmiʿ li-ahl al-qarn al-tāsiʿ, Dār Maktabat al-ḥayāh, Bayrūt, N. D.

19) al-Sakhāwī, Muḥammad Ibn ʿAbd al-Raḥmān, al-Jawāhir & al-durar fī tarjamat Shaykh al-Islām Ibn Ḥajar, ed. Ibrāhīm Bājis ʿAbd al-Majīd, Dār Ibn Ḥazm, Bayrūt, 1999.

20) Sayyid, Ayman Fu'ād, al-Qāhirah khṭṭhā & taṭawwuruhā al-ʿUmrānī, al-Hay'ah al-ʿĀmmah lil-Kitāb, al-Qāhirah, 2015.

21) al-Suyūṭī, ʿAbd al-Raḥmān Ibn Abī Bakr, Kashf alṣlṣlh ʿan waṣf al-Zalzalah, ed. Muḥammad Kamāl al-Dīn ʿIzz al-Dīn, ʿĀlam al-Kutub, Bayrūt, 1987.

22) Ibn Shāhīn, ʿAbd al-Bāsiṭ Ibn Khalīl, Nayl al-Amal fī Dhayl al-Duwal, ed. ʿUmar ʿAbd al-Salām Tadmurī, al-Maktabah al-ʿAṣrīyah, Bayrūt, 2002.

23) alshjāʿy, Shams al-Dīn, Tārīkh al-Nāṣir Muḥammad Ibn Qalāwūn al-Ṣāliḥī & Awlādu. ed. Burbārah shīfr, Frānz Shtāynir, fsbādn, al-Maʿhad al-Almānī lil-Āthār, al-Qāhirah, 1978.

24) Shuhbah, Abū Bakr Ibn Aḥmad Ibn Qāḍī, Tārīkh Ibn Qāḍī Shuhba. ed. ʿAdnān Darwīsh, al-Maʿhad al-Faransī lil-Dirāsāt al-ʿArabīyah, Dimashq, 1994.

25) al-Ṣafadī, Khalīl Ibn Aybak, aʿyān al-ʿaṣr & aʿwān al-Naṣr, ed. ʿAlī Abū Zayd & ākharūn, Dār al-Fikr al-muʿāṣir, Bayrūt, 1998.

26) al-Ṣafadī, Khalīl Ibn Aybak, al-Wāfī bi-al-Wafayāt, ed. Hellmut Ritter & ākharīn, Frānz Shtāynir, fsbādn, 1962-2008.

27) al-Ṣayrafī, ʿAlī Ibn Dāwūd, Nuzhat al-nufūs wāl'bdān fī tawārīkh al-Zamān, ed. Ḥasan Ḥabashī, Markaz taḥqīq al-Turāth, Maṭbaʿat Dār al-Kutub, al-Qāhirah, 1973.

28) Ibn ʿAbd al-Ẓāhir, ʿAbd Allāh, al-Rawḍah al-bahīyah al-Zāhirah fī khiṭaṭ al-Muʿazzīyah al-Qāhirah, ed. Ayman Fu'ād Sayyid al-Dār al-ʿArabīyah lil-Kitāb, al-Qāhirah, 1996.

29) ʿAbd al-ʿĀl, Sayyid, Zilzāl ʿām 702h / 1303m & atharuhu fī Miṣr al-Mamlūkīyah ", Majallat waqā'iʿ al-tārīkhīyah, Markaz al-Dirāsāt al-tārīkhīyah, Jāmiʿat al-Qāhirah, Miṣr, I13, 2010.

30) ʿUkāshah, ʿAlyā', al-ʿImārah al-Islāmīyah fī Miṣr, Bardī lil-Nashr, al-Jīzah, 2008.

31) al-ʿUlaymī, ʿAbd al-Raḥmān Ibn Muḥammad Ibn ʿAbd al-Raḥmān, al-uns al-Jalīl bi-tārīkh al-Quds & al-Khalīl, ed. ʿAdnān Yūnus ʿAbd al-Majīd Nubātah, Maktabat Dandīs, ʿAmmān, N. D.

32) majhūl, Tārīkh salāṭīn al-Mamālīk, ed. strstyn, byryl, Līdin, 1919.

33) al-Maqrīzī, Aḥmad Ibn ʿAlī, al-sulūk li-maʿrifat duwal al-mulūk, ed. Muḥammad Muṣṭafá Ziyādah & Saʿīd ʿAbd al-Fattāḥ ʿĀshūr, Dār al-Kutub & al-Wathā'iq al-Miṣrīyah, al-Qāhirah, 2009.

34) al-Maqrīzī, Aḥmad Ibn ʿAlī, al-mawāʿiẓ & al-iʿtibār bi-dhikr al-Khiṭaṭ & al-āthār, ed. Ayman Fu'ād Sayyid, Mu'assasat al-Furqān lil-Turāth al-Islāmī, Landan, 2013.

35) Ibn manẓūr, Muḥammad Ibn Mukarram Ibn ʿAlī, Lisān al-ʿArab, Dār Ṣādir, Bayrūt, 1414.

36) Ibn Nuʿmān, Ismāʿīl, al-ṣināʿah al-taqlīdīyah ll'ājr wālqrmyd almqʿr fī bilād al-Maghrib al-Islāmī, Majallat al-Ittiḥād al-ʿāmm lil-Āthārīyīn al-ʿArab, Miṣr, ʿ14, 2013.

37) al-Nuʿaymī, ʿAbd al-Qādir Ibn Muḥammad, al-Dāris fī Tārīkh al-Madāris, ed. Jaʿfar al-Ḥasanī, al-Majmaʿ al-ʿIlmī al-ʿArabī Dimashq, 1948.

38) al-Nuwayrī, Aḥmad Ibn ʿAbd al-Wahhāb Ibn Muḥammad, nihāyat al-arab fī Funūn al-adab, ed. majmūʿah mḥqqyn, Dār al-Kutub & al-Wathā'iq al-Qawmīyah, al-Qāhirah, 1423.

39) Ibn al-Wardī, ʿUmar Ibn Muẓaffar Ibn ʿUmar, Tārīkh Ibn al-Wardī, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1996.